﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٩٩﴾ [الأنعام: 99]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

العلاقةُ بين خلقِ البشرِ، وإنزالِ الماءِ لإنباتِ ألوانِ الشّجرِ والثّمرِ

لمّا ذكرَ الحقُّ ﷻ في الآيةِ السّابقةِ إنعامَه تعالى بخلقِ الإنسانِ من نفسٍ واحدةٍ، ثمّ بثّ فيهما رجالاً كثيرًا ونساءً، ذكرَ هُنا إنعامَهُ على بني البَشَرِ بما يَقومُ به أوَدُهُم ومصالِحُهم[1]، فذكرَ من جملةِ الدّلائلِ على كمالِ قُدرتِهِ، وعظيمِ إحسانِهِ إنزالَ الماءِ، وإخراجَ النّباتِ والزّرعِ على اختلافِ طُعومِهِ وألوانِهِ، فجاءَ منه الحبُّ المُتراكِبُ، والثّمارُ المُتشابِهةُ والمُختلِفةُ، فهذه علاماتُ وحدانيّتِهِ وربوبيّتِهِ لقومٍ يُؤمنون.

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نَبَاتَ﴾: الجذرُ اللّغويُّ له (نبت)، وهو ما تُخرجُهُ الأرضُ، وهو بمعنى الغرسِ والزّرعِ[2]، والأصلُ في معناه دلالتُهُ على "نماءٍ في مَزروعٍ، ثمّ يُستعارُ، فالنَّبتُ مَعروفٌ، يُقال: نَبَتَ، وأنبتتِ الأرضُ، ونَبَّتُّ الشَّجرَ: غَرسَتُهُ"[3]، وهو كلُّ ما يخرُجُ منَ الأرضِ ممّا ينمُو كالشَّجرِ ذي السّاقِ، والنّجمِ ممّا ليسَ له ساقٌ ممّا يأكُلُهُ الحيوانُ[4]، ومعنى ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَىۡءٖ﴾: "نبتُ كلِّ صنفٍ من أصنافِ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/596.
(2) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (نبت).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (نبت).
(4) الرّاغب، المفردات، والسّمين، عمدة الحفّاظ: (نبت).

النّامي؛ يعني: أنّ السّببَ واحدٌ وهو الماءُ، والمُسبَّباتُ صنوفٌ مُفتنَّةٌ"[1]؛ أي: مُتنوِّعةٌ منَ الفنِّ، والمرادُ به النّوعُ.

2) ﴿خَضِرًا﴾: الجذرُ اللّغويُّ (خضر)، ومعناهُ في القرآن الكريم الزّرعُ الأخضرُ، وكلُّ نباتٍ بهذا اللّونِ، وهو المَوضِعُ الّذي تكثرُ فيه الأشجارُ[2] لخُضرتِهَا، والأصلُ في معناه لا يخرجُ عنِ اللّونِ المعروفِ[3]، والخَضِرُ: هو الورقُ الأخضرُ، وكلُّ شيءٍ مُتَّصفٍ بالنّعومةِ والطّراوةِ فهو خَضِرٌ[4]، ومعنى ﴿خَضِرًا﴾ في الآية: شيءٌ غضٌّ ذو لونٍ أخضرَ، وخضرتُهُ خَلْقِيَّةٌ، وهو المُتشعِّبُ من أصولِ النّباتِ[5].

3) ﴿مُّتَرَاكِبًا﴾: اسمُ فاعلٍ منَ الفعل (تَفاعَلَ)، جذرُهُ اللّغويُّ (ركب)، وهو منَ الرّكوبِ، وهو أن يعلُو الشَّيءُ الشَّيءَ، ومنه تركيبُ الفُصوصِ[6]، والأصلُ في معنى الجذرِ أنّ يعلُوَ شيءٌ شيئًا[7]، والأصلُ في الرُّكوبِ أن يَعلُوَ الإنسانُ الحيوانَ ويركبَهُ، وقد يكونُ على السّفينةِ[8]، ومعنى ﴿مُّتَرَاكِبًا﴾ في الآيةِ هو الحَبُّ الّذي يكونُ بعضه فوقَ بعضٍ كسنابلِ الحِنطةِ ونحوِها[9].

4) ﴿طَلْعِهَا﴾: اسمٌ ثلاثيٌّ مُجرَّدٌ، الجذرُ اللّغويُّ منه (طلع)، والطَّلعُ هو طلعُ النّخلِ، واحدتُها طَلعَة، وتكونُ الكافُورةُ في جوفِها، فإذا بدَتْ سُمِّيَتِ الطَّلعة[10]، وثمّةَ علاقةٌ بينَ طَلعِ النَّخيلِ والبُروزِ والظُّهورِ؛ لأنّه يخرُجُ ويبرزُ بعدَ اكتمالِه، وهو كذلك فالأصْلُ في معنى الطّلعِ دلالتُهُ على الظّهورِ والبُروزِ[11]، والطّلعُ بعدَ تكوّنِهِ وطلوعِهِ يصيرُ ثمرًا إنْ كانَتِ النّخلةُ أنثى، وإن كانَت ذكرًا أُكِل طريًّا أو تُرك حتّى يكونَ كالدّقيقِ الأبيضِ تلقّح به النّخلةُ الأنثى[12]،

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/379.
(2) الخليل، العين، وابن دريد، جمهرة اللّغة: (خضر).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (خضر).
(4) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (خضر).
(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/255 - 256، والقاسميّ، محاسن التّأويل: 6/2437.
(6) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة: (ركب).
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن سيده، المحكم: (ركب).
(8) الرّاغب، المفردات، والسّمين، عمدة الحفّاظ: (ركب).
(9) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 8/471، وزاده، حاشية الشّيخ زاده: 4/105.
(10) الخليل، العين، والصّاحب، المحيط في اللّغة: (طلع).
(11) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (طلع).
(12) ابن منظور، لسان العرب: (طلع).

ومعنى الطّلع في الآية: "وعاءُ عُرجُونِ التّمرِ الّذي يَبدو في أوّلِ خُروجِهِ، يكونُ كَشَكلِ الأُترُجَّةِ العظيمةِ مُغلَقًا على العُرجُونِ، ثمّ يَنفَتِحُ كصُورةِ نَعلَينِ فَيَخرُجُ منهُ العُنقُودُ مُجتَمِعًا"[1].

5) ﴿قِنْوَانٌ﴾: اسمٌ مجموعٌ، مفرده (قِنو)، وجذرُهُ اللّغويُّ (قنو)، وهو عِذقُ النّخلِ بما عليه منَ التّمرِ[2]، والأصلُ في معناه دلالتُهُ على المُلازمةِ والمُخالَطةِ، والقِنوانُ وهي الأعذاقُ ملازمةٌ لشجرتِها النّخلة[3]، والقِنوُ عذقُ النّخلِ ومعه الشّماريخُ[4] الّتي تحملُ التّمرَ، وعذقُ النّخلِ يمتدُّ للأسفلِ حاملاً معه التّمرَ حائزًا له[5]، واشتقاقُهُ منَ الاقتناءِ قرينةُ الحيازةِ، ومعنى ﴿قِنْوَانٌ﴾ في الآيةِ الأعذاقُ: مفردُهُ عِذقٌ، وهنّ حاملاتُ التّمرِ بمَنزِلَةِ العنقودِ في العِنبِ[6].

6) ﴿دَانِيَةٌ﴾: اسمُ فاعلٍ مُؤنَّثٌ، الجذرُ اللّغويُّ (دنو - دنا - دنى)، الفعلُ منهُ (دَنَا يَدْنو)، ومعناه القربُ، ويُقالُ دانَيتُ بينَ الأمرين، إذا كانَت منك مُقارَبةٌ بينَهُما[7]، والأصلُ في معناه كذلك، وهو القربُ[8]، والقربُ قد يكونُ بالزّمانِ والمكانِ، وقد يكونُ مَعنويًّا أو بالحُكمِ[9]، ومعنى ﴿دَانِيَةٌ﴾ في الآية: قريبةٌ منَ الأرضِ مُلتصِقَةٌ بها، سهلةُ التّناولِ باليدِ، مُتدليةٌ لثقلِ حملِها[10].

7) ﴿مُشْتَبِهًا﴾: اسمُ فاعلٍ، جذرُهُ اللّغويُّ (شبه)، ومنهُ الشّبهُ والشّبيهُ بمعنى المَثيلِ، وأشبهَ الشّيءُ الشّيءَ: ماثلَهُ، ونحو ذلك[11]، وله معنًى آخرُ، فإنّ المُشتبِهَ هو المُشكِلُ المُلتبِسُ؛ فإذا اشتبهَ الأمران فقد أشكَلا[12]، ومعناه المحوريُّ المقاربةُ الشّديدةُ بينَ شيئين شكلاً ومَلمَحًا ظاهريًّا[13]، والتّشابهُ وعدمُ التّشابهِ في الآية تماثلُ بينَ ورقِ الزّيتونِ والرُّمّانِ في المَنظَرِ، وعدمُ تماثلٍ في اللّونِ والطّعمِ[14].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/400.
(2) الخليل، العين، والرّاغب، المفردات: (قنو).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قنا).
(4) السّمين، عمدة الحفّاظ: (قنو).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (قنو - قنى).
(6) الهمذانّي، الفريد في إعراب القرآن: 2/653، وزاده، حاشية الشّيخ زاده: 4/106.
(7) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، والجوهريّ، الصّحاح: (دنا).
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (دنى)، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (دنو).
(9) الرّاغب، المفردات: (دنا).
(10) مقاتل، تفسير مقاتل بن سليمان: 1/581، والسّمين، عمدة الحفّاظ: (دني).
(11) ابن سيده، المحكم: (شبه).
(12) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (شبه).
(13) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (شبه).
(14) السّمرقنديّ، بحر العلوم: 1/471.

8) ﴿ثَمَرِهِۦٓ﴾: جمعُ ثمرة أو ثمار، جذرُهُ اللّغويُّ (ثمر)، ومعنى الثّمر ما يحملُهُ الشَّجَرُ[1]؛ ليأكلَه الإنسانُ والحيوانُ، والأصلُ في الثّاءِ والميمِ والرّاءِ "شيءٌ يَتَوَلَّدُ عن شيءٍ مُتَجَمِّعًا، ثمّ يُحمَلُ عَليهِ غَيرُهُ استعارةً. فالثّمرُ مَعروفٌ"[2]، وهو اسمٌ لكلِّ مَا يطعمُ مِن أحمالِ الشّجرِ[3]، وهو ما يكونُ مَعقودًا على أطرافِ الأشجارِ، وأكثرُ الواردِ في القرآنِ ما يُجنَى منَ الفاكهةِ ونحوها[4]، والثّمرُ في الآية جنيُ الأشجارِ من فاكهةٍ ونحوِها[5].

9) ﴿وَيَنۡعِهِۦٓۚ﴾: الينعُ اسمٌ مُجرَّدٌ أو مصدرُ الفعلِ (يَنَعَ يَينَعُ يَنعًا)، جذرُهُ اللّغويُّ (ينع)، ومعناه النّضجُ والصّلاحُ[6]، ومنه اليانعُ المُدرِكُ البالِغُ[7]، فينعُ الثّمرةِ بلوغُها حتّى تكونَ صالحةً للأكلِ، ومعناها المحوريُّ أن يكونَ الثّمرُ صالحًا لأنْ يُؤكَلَ مع شيءٍ مِنَ اللّيونةِ والرّخاوةِ مع غلبةِ لونِ الحُمرَةِ عليه؛ فإنّ غالبَ الثّمارِ تشوبُها الحُمرَةُ عندَ نُضجِها[8]، ﴿وَيَنۡعِهِۦٓۚ﴾ في الآية بلوغُهُ ونضجُهُ حين يصلُ إلى هذه المرحلةِ[9].

## ❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يمتنُّ اللّهُ سبحانه على عبادِه بإنزالِ الماءِ منَ السّماءِ، ثم يبيّنُ أثرَ الماءِ في ابتناءِ النّعمِ عليه من إخراجِ النّباتِ والثّمارِ بأنواعِها منَ النّخلِ والعنبِ والزّيتونِ والرّمّانِ، بأصنافٍ تشتبهُ أشكالُها وصُورُها، وتختلفُ مذاقاتها وطُعومُها، وأنّ كثرةَ النِّعمِ يدعو تأمّلُها إلى الإيمانِ

**إنـزالُ المـاءِ منَ السّماءِ نعمةٌ، تبعثُ الحياةَ، وتَـبـسـطُ على الأرضِ النّباتَ**

(1) الخليل، العين، والصّاحب، المحيط في اللّغة: (ثمر).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ثمر).
(3) الرّاغب، المفردات، والسّمين، عمدة الحفّاظ: (ثمر).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ثمر).
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/403.
(6) الجوهريّ، الصّحاح: (ينع).
(7) الرّاغب، المفردات، والسّمين، عمدة الحفّاظ: (ينع).
(8) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ينع).
(9) ابن جرير، جامع البيان: 11/579، والنّيسابوريّ، إيجاز البيان: 1/305.

والاعتبارِ باللّهِ الواحدِ، ففي تلك الدّلالاتِ آياتٌ بيّناتٌ لمَن آمنَ؛ وداعٍ إلى شكرِهِ - جلّ وعزّ - على تلك النّعمِ.

## ❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

### بلاغةُ التّعبيرِ بأسلُوبِ القَصْرِ، بتعريفِ طرفَيِ الجُملةِ الاسميّةِ:

إنـزالُ المـاءِ من ربّ السّمـاء، والـتّـعـريـضُ بالمشركينَ على الإنكارِ والجَفاءِ

وقولُهُ تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ ابتدأَ الحقُّ ﷻ الآيةَ بالجملةِ الاسميّةِ، وأوردَ طرفيها المبتدأ والخبر مَعرفتين، والجملةُ بطرفيها تفيدُ القَصْرَ؛ "فهو وحدَهُ الّذي أنزلَ منَ السّماءِ الماءَ، فلم ينزلْ إلّا بقدرتِهِ"[1]، ففيه تخصيصُ إنزالِ الماءِ منَ السّماءِ باللّهِ وحدَهُ، وفيه أيضًا تعريضٌ بالمشركينَ وتوبيخٌ لهم، فإنّهم مع كلِّ هذه الآياتِ الدّالّةِ على وحدانيّتِهِ وعظمتِهِ أشركُوا معه؛ فاستحقّوا ذلك.

### دلالةُ ﴿مِنَ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾:

إظـهـارُ بـالـغِ نِـعـمـتِـهِ على خـلـقِـهِ، وبـيـانُ أنّ الحياةَ منه وحدَه

﴿مِنَ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ حرفٌ يفيدُ الابتداءَ، والمعنى أنّ ماءَ المطرِ مبتدؤُهُ منَ السّماءِ، وفي ذلك إظهارٌ لنعمةِ اللّهِ على خلقِهِ، فهو وإن كان مُتحوِّلاً من ماءِ الأرضِ، صاعدًا إلى طبقاتِ الجوّ، إلاّ أنّ تكوّنَهُ يتمُّ في تلك الطّبقاتِ المُرتفعةِ منَ الجوّ[2]؛ فكأنّ مبتدأهُ منها، فلولا قُدرتُهُ تعالى في تكوينِها لَمَا أفدتُم منها شيئًا، كما أنَّ في استخدامِ حرفِ الابتداءِ بيانًا لعجزِ كلِّ الخَلقِ عن نيلِهِ إلّا بفضلٍ من ربِّهِ، وعجزِهِم عن منعِهِ أو دفعِهِ لبيانِ أنَّ مصائرَ الحياةِ بيدِ اللّهِ، ومبادي الأرزاقِ منه وحدَهُ.

### بلاغةُ تقديمِ المُتعلّقِ ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ على المفعول ﴿مَآءً﴾:

العنايةُ بالمُتقدِّمِ والـتّـشـويـقُ لـلـمُـتـأخِّرِ، من بيانِ السّياقِ

تقديمُ الجار والمجرور ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ على المفعولِ الصّريحِ ﴿مَآءً﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ فيه مزيدُ اهتمامٍ بالمُتقدِّمِ، وتشويقٌ إلى المُتأخِّرِ؛ لأنّ اللّفظَ إذا أخّرَ فإنّ النّفسَ

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2605.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/398.

تبقى مُتشوِّقةً مُترقِّبةً له، فإنْ وردَ عندَها تكونُ النّفسُ مُتمكِّنةً منه أفضلَ تمكُّنٍ[1].

**بلاغةُ الالتفاتِ منَ الغَيبةِ إلى التّكلُّمِ في الآيةِ الكريمةِ:**

تـدبُّـرُ الـدّلـيـلِ يـقـتـضِي لـفـتَ الانتباهِ وتَنشيطَ الحِسِّ

قولِه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجۡنَا﴾: في التّعبيرِ بالفعل ﴿فَأَخۡرَجۡنَا﴾ في قولِه تعالى: ﴿فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىۡءٍ﴾ انتقالٌ منَ الغَيبةِ إلى الخطابِ على طريقةِ الالتفاتِ[2]، فقبله ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ﴾ تعبيرٌ بصيغةِ الغائبِ؛ فانتقلَ منَ الغائبِ إلى المُتكلِّم، وفائدةُ هذا الانتقالِ تنشيطُ الذّهنِ ولفتُ الانتباهِ، كما أنّ فيه ردًّا "على الطّبائعيين؛ إذ لو كانَت هذه الأشياءُ بالطّبيعةِ لكانَ الشَّجرُ المَسقيُّ بالماءِ الحلو حلوًا أكلُهُ، والمَسقيُّ بالماءِ المالحِ مَالحًا أكلُهُ"[3]، فهؤلاء يدّعون أنّه من صنيعِ الطّبيعةِ؛ فجاءَ الفعلُ مُسنَدًا إليه تعالى لا الطّبيعة كما يدّعون، وفي الالتفاتِ أيضًا بيانٌ لكمالِ العنايةِ وإظهارِها بشأنِ المُنزِلِ والمُنزَلِ لأجلِهِ الماء وتفخيمهما، أي: فأخرجْنا بِعَظَمَتِنا النّباتَ والزّروعَ والثّمارَ لكم[4]، وفي الالتفاتِ نمطٌ من أنماطِ تلوينِ الخطابِ[5]؛ بالانتقالِ منَ الغَيبةِ إلى الإخبارِ عن نفسِه تعالى فلا يبقى الكلامُ على نَسقٍ واحدٍ غَيبةً أو خطابًا، وعبّر به إشارةً إلى نكتتِهِ العامّةِ والخاصّةِ؛ إنّه لمّا ذَكَرَ فيما مضى ما يُنبّهُكَ على أنّه الخالقُ، اقتضى ذلك التّوجّهَ إليه حتّى يُخاطَب[6]. وحكمةُ الالتفاتِ أن تلتفِتَ الأذهانُ إلى ما يعقبُ ذلك منَ البيانِ، فتتنبّهُ إلى أنّ هذا

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/471.

(2) الالتفاتُ من أساليبِ الفصاحةِ، وهو: "انصرافُ المتكلّمِ عنِ المخاطبةِ إلى الإخبارِ، وعنِ الإخبارِ إلى المخاطَبةِ وما يشبهُ ذلك، ومنَ الالتفاتِ الانصرافُ عن معنًى يكون فيه إلى معنًى آخر". يُنظر: ابن المعتز، البديع، ص: 152.

(3) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/176، والزّمخشريّ، الكشّاف: 2/379.

(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/168، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/166، والقاسميّ، محاسن التّأويل: 6/2436.

(5) زاده، حاشية الشّيخ زاده: 4/105.

(6) الخفاجيّ، عناية القاضي: 4/102.

الإخراجَ البديعَ، والصُّنعَ السّنيعَ، من فعلِ الحكيمِ الخلّاقِ، لا من فلتاتِ المُصادفةِ والاتّفاقِ[1].

**دلالةُ تقديمِ الجارِّ والمجرورِ ﴿بِهِۦ﴾:**

اختصاصُ إخراجِ النّباتِ بالماءِ

في تقدُّمِ الجارِّ والمجرورِ على المفعولِ الصّريحِ في قولِهِ تعالى: ﴿فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ دلالةُ التّخصيصِ؛ فإنّ هذا المُتعلّقَ ﴿بِهِۦ﴾ يعودُ على الماءِ المُتقدِّمِ في الجملةِ السّابقةِ[2]، وغرضُهُ التّخصيصُ، "ليُعلمَ أنّ كلَّ ما يخرجُ في الأرضِ أصلُهُ منَ الماءِ، به ينبتُ ممّا يكونُ غذاءَ البشرِ، وغذاءَ الحيوانِ كلِّهم والطّيورِ"[3]؛ ولقوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ﴾ [الأنبياء: 30].

**علّةُ إسنادِ فعلِ الإخراجِ، إلى ضميرِ التّعظيمِ ﴿فَأَخۡرَجۡنَا﴾:**

عَظَمَ البارِي قُدرةً وحِكمةً وآلاءً، بما أزجَى منَ النِّعمِ والعطاءِ.

أسندَ الفعلَ ﴿فَأَخۡرَجۡنَا﴾ إلى الذّاتِ العليّةِ؛ لبيانِ قُدرتِهِ العظيمةِ، وإرادتِهِ الحكيمةِ، وآلائِهِ على العربِ وغيرِهِم[4]، فـ" اللّهُ واحدٌ فَردٌ لا شريكَ له، إلّا أنّ المَلِكَ العظيمَ إذا كَنّى عن نفسِهِ، فإنّما يُكَنّي بصيغةِ الجمعِ"[5]؛ فالمقصدُ منه إظهارُ تعظيمِهِ تعالى وشدّةِ احتياجِ الخلقِ إليه في هذا المَوضعِ؛ فالماءُ وَاحدٌ، والنّباتُ مُتعدِّدٌ في شكلِهِ ولونِهِ وطعمِهِ.

**دلالةُ تقديمِ المُتعلّقِ ﴿مِنۡهُ﴾ على المفعولِ الصّريحِ ﴿خَضِرٗا﴾:**

الخُضرةُ قرينُ النّباتِ، ووجودُها عنوانُ وجودِ الحياةِ

الجارُّ والمجرورُ ﴿مِنۡهُ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا﴾ يرجعُ على النّباتِ الوارِدِ آنفًا[6]، وقد قدّمَهُ هنا على المفعولِ الصّريحِ ﴿خَضِرٗا﴾؛ للدّلالةِ على أنّ الخُضرةَ قرينُ النّباتِ؛ ومنَ النّباتِ وحدَهُ تتحصّلُ الخُضرةُ.

(1) رضا، تفسير المنار: 7/536.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/398.
(3) الماتريديّ، تأويلات أهل السّنّة: 4/186، والواحديّ، الوسيط: 2/304.
(4) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2607.
(5) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 13/113، وزاده، حاشية الشّيخ زاده: 4/105.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/399.

### سَببُ العُدولِ من أخضرَ إلى ﴿خَضِرًا﴾:

قولُهُ تعالى ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾: جاءَ بالاسم ﴿خَضِرًا﴾، ولم يعبّرْ بالاسم (أخضر) مثلما هو مُنتظَرٌ، وسببُ ذلك أنّ ﴿خَضِرًا﴾ "إنّما يأتي أبدًا لمعنَى النّضَارةِ، وليس للونٍ فيه مَدخَلٌ، و(أخضرُ) إنّما تَمَكُّنُهُ في اللّونِ، وهو في النّضارةِ تَجَوُّزٌ"[1] واستعمالُ (أفعل) للألوان ذائعٌ في الصِّيغِ الصّرفيةِ[2]. والمرادُ بالخَضِر: الشُّعَبُ والأغصانُ، ولذا عبّرَ عنه بالأخضرِ، وأمّا النّباتُ فعامٌّ للأخضرِ وغيرِهِ[3].

لفظُ (خضرًا) يدلُّ على النّضارةِ أكثرَ من دلالتِهِ على اللّونِ

### بلاغةُ أُسلوبِ اللَّفِّ والنّشْرِ في المعنَى:

في قولِهِ تعالى ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾: أعادَ فعلَ الإخراجِ، وفائدتُه أنّ الكلامَ جارٍ على أسلوب اللّفِّ والنّشرِ[4] أو قريبًا منه؛ لأنّه حصرَ النّباتَ في قسمين؛ هما الواردان في قولِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾؛ فمِنَ الحَبِّ يخرجُ الزَّرعُ، ومِنَ النَّوَى يخرجُ الشَّجرُ، فلمّا فصّلَ هنا اعتبرَ القسمةَ الأولى؛ فبدأَ بالزَّرعِ وهو القمحُ والشّعيرُ والذُّرَةُ ونحوها، فالحَبُّ يكونُ مُتراكِبًا، كما في السّنابلِ الّتي يكونُ عودُها خضرًا[5]، ثمّ ذَكَرَ ما يخرجُ منَ النَّوَى؛ وهو النَّخلُ ونحوه؛ ليستوفي النّشرَ.

لمّا أجملَ في الحَبِّ والنَّوَى، فصّلَ في الحَبِّ المُتراكِبِ والنَّخلِ والأعنابِ

### بلاغةُ تقديمِ (الزَّرعِ) على (النَّخلِ):

في قولِهِ تعالى: ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ قدّمَ الحَبَّ المُتراكِبَ، وهوَ من جنسِ الزّروعِ على النّخلِ والرُّمّانِ ونحوهما، وهو تقديمٌ من بابِ الفضلِ؛ فالقوتُ مُقدَّمٌ على الفاكهةِ[6]؛ فإنّ الحَبَّ أنفعُ

الزَّرعُ والحَبُّ، أفضلُ للإنسانِ منَ النَّخلِ والثِّمارِ

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/327.
(2) سيبويه، الكتاب: 4/25.
(3) القونويّ وابن التّمجيد، حاشيتان على البيضاويّ: 8/210.
(4) أسلوبٌ بلاغيٌّ يعتمدُ على "ذكرِ الشّيئين على جهةِ الاجتماعِ، مُطلَقين عنِ التّقييد، ثمّ يُوفّى بما يليقُ بكلِّ واحدٍ منهما اتّكالًا على أنّ السّامعَ لوضوحِ الحالِ يردُّ إلى كلِّ واحدٍ منهما ما يليقُ به، وهو في الحقيقةِ جمعٌ ثمّ تفريقٌ". يُنظر: العلويّ، الطِّراز: 2/404.
(5) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 13/113، وزاده، حاشية الشّيخ زاده: 4/105.
(6) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/601، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 13/114.

للإنسانِ منَ النَّخلِ ونحوِهِ؛ فبه تقومُ حياتُه، قال تعالى: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ٢٨﴾ [عبس: 27 - 28]، فقدَّمَ الحَبَّ على الجميعِ لخيرِهِ، فمنفعته للبشرِ أزيد مِن سواهُ بوصفِهِ الغذاءَ الأعظمَ الأعمَّ لأكثرِ النّاسِ، وأكثرِ أنواعِ الحيوانِ الأهليّةِ الّتي تقومُ أكثرُ مرافقِهم ومنافعِهم بها[1].

### نُكتةُ العُدولِ منَ الماضي ﴿فَأَخۡرَجۡنَا﴾ إلى المضارعِ ﴿نُّخۡرِجُ﴾:

استحضارُ صُورةِ الحدثِ، من تراكُبِ الحَبِّ واتّساقِه، وكأنّه الآنَ

في قولِهِ تعالى: ﴿فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا﴾ وردَ فعلُ الإخراجِ أوّلاً بصيغةِ الماضي ﴿فَأَخۡرَجۡنَا﴾، ثمّ عدلَ عن هذه الصّيغةِ إلى صيغةِ المضارعِ ﴿نُّخۡرِجُ﴾، ونكتةُ ذلك أنّ فيه استحضارًا للحدثِ من تراكبِ الحَبِّ في السّنابلِ بتلك الصّورةِ العجيبةِ في حُسنِهَا وانتظامِهَا، وتَنَضُّدِ سنابلِها واتّساقِها، وهو داعٍ إلى التّأمُّلِ في آلاءِ اللّهِ[2]، والتّفكُّرِ في حالِ تشكُّلِ الحَبِّ مَرصُوصًا مُتساندًا، وكأنّ الحدثَ حاصلٌ الآن لَمَا يمنحُهُ الفعلُ المضارعُ منَ الحدوثِ والتّجدُّدِ.

### سِرُّ العُدولِ منَ الإضافةِ إلى التّفصيلِ:

ذكرَ النّخلَ مُنفردًا لمنافعِهِ الكثيرةِ، وذكرَ الطّلعَ مُنفردًا لمنفعتِهِ الأثيرةِ

عدلَ في قولِهِ تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ﴾ من إضافةِ النّخلِ إلى طلعِها بقولِهِ مثلاً: (ومِن طلعِ النّخلِ) مع أنّه يؤدّي المعنى المرادَ، وعبّرَ عنِ النّخلِ بإيرادِهِ مُعرَّفًا بالألفِ واللّامِ، وسرُّ ذلك أمران مُتعالِقان: **الأوّلُ**: الإشارةُ إلى اعتبارِ النّخلِ ومنافعِهِ على وجهِ الشّمولِ، **والثّاني**: الإشارةُ إلى مَنافعِ الطّلعِ القاصرةِ على ما سِيقَت له في الجملةِ، فلو أضافَ (مِن طلعِ النّخلِ) لأفادَ المعنى الإشارةَ إلى مَنافعِ الطّلعِ فقط.

(1) رضا، تفسير المنار: 7/537.

(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/166، ورضا، تفسير المنار: 7/537، وطنطاويّ، الوسيط: 5/141.

### التّعريفُ بـ (الْ) في ﴿ٱلنَّخۡلِ﴾ للعَهدِ الجِنسيِّ:

النّـخـلُ شجرٌ مُـبـارَكٌ، عرفتْه العـربُ، وأشادَ الـقـرآنُ بمآثرِه الجَمّةِ

وعدلَ عنِ الإضافةِ إلى التّعريفِ بـ (الـ) لفائدةٍ أخرى هي تحقيقُ العهدِ الجِنسيِّ؛ إشارةً إلى أنّ ما يتحدّثُ عنه هو النّخلُ المَألوفُ عندَ العربِ؛ "فإنّ النّخلَ شجرُهم، وثمرَهُ قُوتُهم، وحَوائطَهُ مُنبَسَطُ نُفُوسِهم"[1]، فلا يُتخيَّلُ شجرٌ غيره عندَهم، يؤيّدُهُ ذكرُهُ كثيرًا في الحديثِ النّبويِّ كقولِهِ ﷺ: «إنّ منَ الشّجرِ شجرةً لا يسقطُ ورقُها، وإنّها مثلُ المُسلمِ، حدّثوني ما هيَ؟ قالَ: فوقعَ النّاسُ في شجرِ البوادِي، قالَ عبدُ اللّهِ: فوقعَ في نفسِي أنّها النّخلةُ، ثمّ قالُوا: حدّثْنا ما هيَ يا رسولَ اللّهِ؟ قالَ: هي النّخلةُ»[2].

### بلاغةُ جُملةِ الاعتراضِ في السّياقِ:

ثَمرُ النّخلِ مِن أعزِّ قُوتِ العربِ وأموالِهم عبْرَ العُصورِ

قولُهُ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ﴾ اعتراضٌ بينَ المعطوفِ والمعطوفِ عليه، وعلّتُهُ الاعتناءُ بشأنِ النّخلِ لعِظَمِ مِنَّتِه؛ لكونِ النّخلِ جامعًا بين التَّفكُّهِ والقُوتِ، وهو من أعزِّ أموالِ العربِ[3]؛ ولذلك قدّمَهُ على سائرِ الفَواكِهِ، فضلًا عن أنّ التَّمرَ يجري مَجرَى الغذاءِ لدى العربِ، ولأنّ الحُكماءَ بيّنوا أنّ بينَهُ وبينَ الحيوانِ مُشابَهةً في خواصَّ كثيرةٍ؛ بحيث لا تُوجَدُ تلك المُشابَهةُ في سائرِ أنواعِ النّباتِ[4].

### بلاغةُ أسلوبِ الاحتراسِ، بإيرادِ الطّلعِ بعدَ النَّخلِ:

مَنافِعُ النَّخلِ شاملةٌ، فلا يُتوهّمُ بالتّقديمِ اقتِصارُها على الطَّلعِ والقِنْوانِ

في قولِهِ تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ﴾، في الآيةِ تقديمُ الخبرِ ﴿وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ﴾ على المبتدأ ﴿قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ﴾[5]، وزادَ على ذلك بذكرِ الجارِّ والمجرورِ ﴿مِن طَلۡعِهَا﴾، وإيرادُه بعدَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/400.

(2) رواه البخاريّ، الجامع الصحيح، الحديث رقم: (62)، وعبد الله المذكور في الحديث، هو: عبد الله ابن عمر ﷺ.

(3) القونويّ وابن التّمجيد، حاشيتان على البيضاويّ: 8/212، والصّاويّ، حاشية على تفسير الجلالين، ص: 559.

(4) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 13/86.

(5) العكبريّ، التّبيان: 1/524، والسّمين، الدّرّ المصون: 5/69.

الخبرِ احتراسٌ لرفعِ توهُّمِ أنّ مَنافعَ النّخلِ قاصرةٌ على الأكلِ، بدلالةِ تقديمِ الخبرِ على المبتدأ جوازًا؛ لأنّ عامّةَ التّقديمِ يفيدُ التّخصيصَ، فلو قِيلَ: (ومنَ النّخلِ قِنوانٌ دانيةٌ) لفُهِمَ أنّ مَنافِعَ النّخلِ قاصرةٌ على الأكلِ من أعذاقِها، وهو غيرُ سَديدٍ؛ فإنّ مَنافِعَ النّخلِ شاملةٌ في الأكلِ وغيرِهِ.

### إيثارُ ذكْرِ القِنوانِ القريبةِ على البعيدةِ:

ذكْـرُ الـقِـنـوانِ الدّانيةِ من بابِ الاجتزاءِ، بدلالةِ إحـداهـمـا على الأُخرى

القِنوانُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ﴾ جَمعُ (قِنْوٌ)، ومعناها الأعذاقُ الّتي تحملُ التَّمرَ[1]، وآثرَ هنا ذكرَ القِنوانِ القريبةِ، ولم يذكرِ البعيدةَ اجتزاءً بها عن مقابلتِهَا؛ "لأنّ ذكرَ أحدِ المُتقابلَين يدُلُّ على الآخر"[2]، كقولِهِ تعالى: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾ [النّحل: 81]؛ فإن كانَت تقيكُمُ منَ الحرِّ؛ فهي تقيكُمُ منَ البردِ أيضًا؛ فاكتفى بذكرِ أحدِهما لدلالتِهِ على الآخر.

### سِرُّ حَذْفِ القِنوانِ البعيدةِ، اختصارًا لسَبْقِها إلى الأفهامِ:

تمامُ النِّعمةِ في القِنوانِ القريبةِ، أَوضحُ وأَصرحُ

قولُهُ تعالى: ﴿قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ﴾ على نيّةِ الحذفِ، التّقدير: قِنوانٌ دانيةٌ وسحيقةٌ أو بعيدةٌ، وهو حذفٌ من بابِ الاختصارِ؛ لأنّها حاضرةٌ في الفَهمِ، سابقةٌ إليه عندَ ذكرِ الأخرى[3]. تمّ إنّ قولَهُ تعالى: ﴿دَانِيَةٞ﴾؛ أي: قريبةٌ وهو من بابِ إنعامِهِ تعالى على عبادِهِ؛ فذكرَ الدّانيةَ القريبةَ، ولم يذكُرِ البعيدةَ، وهو من بابِ تمامِ نعمتِهِ تعالى على عبادِهِ؛ بأن جعلَهُم يحصلونَ على ثمرِهَا من غيرِ تعبٍ ولا مَشقَّةٍ، بخلافِ السّحيقةِ، ففيها كُلفةُ الصّعودِ؛ فالنّعمةُ إذن أظهرُ وأدلُّ في القريبةِ[4].

(1) الزّجّاج، معاني القرآن: 2/275، والشّنقيطيّ، العذب النّمير: 2/25.
(2) زاده: حاشية الشّيخ زاده: 4/106، والثّعلبيّ، الكشف والبيان: 12/163.
(3) السّمعانّي، تفسير القرآن: 2/130، والبغويّ، معالم التّنزيل: 3/172.
(4) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/379، والشّنقيطيّ، العذب النّمير: 2/26.

### علّةُ التّقييدِ بلفظِ ﴿قِنۡوَانٞ﴾:

كمالُ التّفاوُتِ دليلُ كمالِ القُدرةِ

نقلَ السّيوطيّ عنِ التّفتازانيِّ؛ أنّه علّلَ إثمارَ الضّئيلِ الّذي لا يكادُ يُنتفَعُ بهِ من خلالِ التّقييدِ بقولِهِ: ﴿قِنۡوَانٞ﴾؛ للإشعارِ بأنّه حينئذٍ ضعيفٌ لا نفعَ له، فيقابلُ حالَ اليَنعِ، ويدُلُّ كمالُ التّفاوتِ على كمالِ القُدرةِ[1]، فالمقصودُ بالإخبارِ هنا التّعجيبُ من خُرُوجِ القِنوانِ مِنَ الطّلعِ وما فيهِ من بَهجةٍ، وبهذا يَظهَرُ وجهُ تَغييرِ أسلوبِ هذه الجملةِ عن أساليبِ مَا قبلَها وما بعدَها؛ إذ لَم تُعطَفْ أجزاؤُهَا عَطفَ المُفرداتِ، على أنّ مَوقِعَ الجُملةِ بينَ أخواتِها يُفيدُ مَا أفادَتهُ أخَواتُها مِنَ العِبرَةِ والمِنَّةِ[2].

### دلالةُ لفظِ (الدّانيةِ):

لا حاجَةَ لذكرِ القِنوانِ البعيدةِ التّناوُلِ؛ لحُصولِ الذّكرَى بالدّانِيَةِ

وخُصَّتِ القِنوانُ بالذّكرِ هنا إدماجًا للمِنَّةِ في خلالِ التّذكيرِ بإتقانِ الصَّنعَةِ؛ فإنّ المِنَّةَ بالقِنوانِ الدّانِيَةِ أتَمُّ، والدّانِيَةُ هي الّتي تكونُ نَخلتُها قَصيرةً لم تَتَجاوزْ طُولَ قامةِ المُتَناوِلِ، ولا حاجَةَ لذكرِ البعيدةِ التّناوُلِ؛ لأنَّ الذّكرى قد حصلَت بالدّانِيَةِ، وزادَت بالمِنَّةِ التّامَّةِ[3].

### فائدةُ تقديمِ الأعنابِ على ما بعدَه:

العِنبُ أشرفُ الفواكِهِ، وفائدتُهُ مُمتدَّةٌ في أحوالِهِ كلِّها

بدأَ بالأعنابِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ﴾، ثمّ ذكرَ الصِّنفين الآخرين مِنَ الزّيتونِ والرُّمّانِ، ومزيّةُ هذا التّرتيبِ أنّ الأعنابَ أشرفُ أنواعِ الفَواكِهِ وأميزُها؛ فمنفعتُهُ مُمتدَّةٌ مِن أوّلِ ظهورِهِ حتّى آخرِ حالِهِ، مِن لدُن تشكُّلِهِ في خيوطٍ خضراءَ، ثمّ كونه حِصرمًا مُفيدًا، ثمّ عِنبًا لذيذًا، فزبيبًا نافعًا[4]، وغيرها مِنَ الفوائدِ المُمتدَّةِ في هيئاتِهِ كلِّها.

(1) السّيوطيّ، نواهد الأبكار: 3/375.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/400.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/400.
(4) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 13/115.

### نُكتةُ التّعبيرِ عنِ الأعنابِ بالجنّاتِ:

عرائشُ الأعنابِ كالجنّاتِ السّاترةِ، ذاتِ المناظرِ الآسرةِ

قولُهُ تعالى: ﴿وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ﴾ ذكرَ هنا الجنّاتِ وميّزَها بالأعنابِ؛ لِمَا بينهما من آصرةٍ قويّةٍ؛ فالجنّاتُ هي الأرضُ ذاتُ الأشجارِ المُلتفَّةِ الكثيفةِ الّتي لا تُرى أرضُها لتكاثفِ أشجارِها، وهذا شأنُ العرائشِ من أشجارِ العِنبِ تكونُ جنّةً ساترةً لأرضِها[1]؛ فحَسُنَ اقترانُ الأعنابِ بالجنّاتِ.

### توجيهُ عطفِ جُملةِ ﴿وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾:

تنوّعُ دلالاتِ العطفِ تَوَسُّعٌ في المعنَى

اختُلِفَ في عطفِ هذه الجملةِ ﴿وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾؛ فعنِ الطِّيبيِّ أنّ الأظهرَ أن يكونَ عطفاً على ﴿حَبًّا﴾؛ لأنّ قولَهُ: ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ مُفصَّلٌ يشتملُ على كلِّ صنفٍ من أصنافِ النّامي، والنّامي: الحبُّ والنَّوَى وشبههما. وعنِ التّفتازانيّ أنّ الأقربَ لفظاً ومعنًى أن يُجعَلَ عطفاً على ﴿خَضِرًا﴾، و﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ﴾ على ﴿حَبًّا﴾. وجوّزَ هو نفسُه عطفَها على ﴿قِنْوَانٌ﴾ مع أنّ العِنبَ لا يخرجُ منَ النّخلِ؛ وذلك لأنّها لمّا كانَت مَعروشةً تحتَ أشجارِ النّخلِ جازَ وصفُها بكونِها مُخرَجةً منَ النّخيلِ مَجازاً؛ لكونها مُدرَكةً من خلالِها كما يُدرَكُ القِنوان[2].

### سِرُّ عطفِ الخاصِّ على العامِّ في الآيةِ الكريمةِ:

الجنّاتُ عطاءُ اللهِ

قولُهُ: ﴿وَجَنَّٰتٍ﴾ معطوفٌ على نباتٍ، من عطفِ الخاصِّ على العامِّ، والنُّكتةُ مزيدُ الشّرفِ لكونِها من أعظمِ النِّعَمِ[3].

### دلالاتُ الاشتباهِ والتّشابُهِ، في قولِه تعالى: ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾،

المُشتبِهُ هو المُلتبِسُ، والمُتشابِهُ هو المُتماثِلُ

الاشتباهُ والتّشابهُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾، مَوضِعُهما النّصبُ على الحاليّةِ منَ الزّيتونِ والرُّمّانِ، ومعناهما مُترادِفٌ مثل التّساوي والاستواء؛ لاشتقاقِهما

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2607.
(2) السّيوطيّ، نواهد الأبكار: 3/374 - 375.
(3) الصّاويّ، حاشية على تفسير الجلالين، ص: 559.

من الشّبهِ، أمّا الجمعُ بينَ اللّفظين فهو من بابِ التّفنُّنِ في القول؛ دفعًا للتّكرارِ بإعادةِ اللّفظِ نفسِهِ[1]، واسمُ الفاعلِ المَنفيُّ ﴿وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍۚ﴾ أبهجُ صوتًا بمدِّ الألفِ منَ المُشتَبَهِ المُثبَتِ. ومن دلالاتِ الاشتباهِ وعدمِ الاشتباهِ أنّك إذا نظرتَ إلى أشجارِ الزَّيتونِ والرُّمّانِ مُجتمعين ألفيتَ تشاكُلاً واضحًا حتّى تخالهما شجرةً واحدةً، فإذا نظرتَ في ثمرتيهما وطعومِهما وجدتَ اختلافًا واضحًا بينَ الشّكلِ والطّعمِ؛ فهو مُشتبِهٌ في الورقِ والشّكلِ مُختلِفٌ في الطّعمِ والمَذاقِ[2]. ومن دلالاتِ الاشتباهِ في الرُّمّانِ أنّ شكلَهُ مُتشابِهٌ في المَنظرِ، إلّا أنّه مُختلِفٌ في طعومِه؛ فبعضٌ منه حلوٌ، وبعضٌ حامضٌ[3]، ومن دلالاتِ الاشتباهِ في الزَّيتونِ أنّ أشجارَهُ مُتشابِهةٌ في الشّكلِ إلّا أنّ ثمارَهُ مُتباينةٌ في اللّونِ، فبعضُهُ بلونٍ أخضرَ وبعضُهُ بلونٍ أسودَ. وللوصفين في الآيةِ دلالةٌ أخرى يلخصُّه قولُ الجوهريّ: "والمُشَتبِهاتُ منَ الأمورِ المُشكِلاتُ، والمُتشابِهاتُ المُتماثِلاتُ"[4]، وبناءً على ذلك فبينَ التّشابُهِ والاشتباهِ وشائجُ مَتينةٌ؛ لأنّ شدّةَ التّشابهِ في الثّمارِ مُفضيةٌ إلى الاشتباهِ والالتباسِ حتّى على البستانيِّ الحاذقِ[5]، في عدمِ تمييزِهِ مثلاً بينَ طُعومِ الرُّمّانِ حلوه وحامضه.

### دلالةُ توجيهِ القراءةِ القرآنيّةِ ﴿ثَمَرِهِۦٓ﴾:

معنى قراءةِ الضَّمِّ، تفيدُ التّكثيرَ الدّالَّ على إنعامِ النَّظرِ

في قولِهِ تعالى: ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ﴾، قرأ حمزةُ والكسائيُّ (ثُمُرِه) بضمّتَين، والجمهورُ على الفتحِ[6]، وقراءةُ الجمهورِ على أنّ (ثَمَر) اسمُ جنسٍ جمعيٌّ[7] مثل: (خشبة - خَشَبٌ) و(تمرة - تَمْرٌ)، وهو

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/402، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2607.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 11/578، والثّعلبيّ، الكشف والبيان: 12/163.
(3) السّمرقنديّ، بحر العلوم: 1/471، ومكّيّ القيسّي، الهداية إلى بلوغ النّهاية: 3/2119.
(4) الجوهريّ، الصّحاح: (شبه).
(5) رضا، تفسير المنار: 7/535.
(6) ابن مجاهد، السّبعة في القراءات، ص: 264، وابن مهران، المبسوط في القراءات العشر، ص: 199.
(7) اسمُ الجنسِ الجمعيّ: اسمٌ دالٌّ على الجمعِ، يميّزُ واحده بالتّاء مثل: تمر وتمرة، ولبن ولبنة. يُنظر: ابن يعيش، شرح المفصل: 3/322 - 323.

يقعُ على القليلِ والكثيرِ، أمّا على قراءةِ حمزةَ والكسائيِّ فهو جمعُ (ثَمَرَة)، أو جمعُ (ثِمار) مثل: (كِتاب - كُتُب)[1]، وهذ الجمعُ دالٌّ على الكثرةِ، وجعلَهُ آخرون على أنّه من بابِ جمعِ الجمعِ (ثَمَرَة - ثِمار - ثُمُر)[2]، وفي الكلِّ هو دالٌّ على الكثرةِ، ولمّا كانَت هذه الآيةُ قد سِيقَت لإنعامِ النَّظرِ والتّفكُّرِ؛ ففي ذلك إيماءٌ إلى أن يكونَ نظرًا سَابغًا وتفكُّرًا ضافيًا بما أنعمَ اللّهُ تعالى على عبادِهِ من مَوفورِ النِّعمِ، وزاخرِ المِنَحِ؛ ليتناسبَ اللّفظُ مع المعنى؛ لذلك جعلَ الطّبريُّ قراءةَ الضّمّ هي الأَولى عندَهُ[3].

### تَوالِي الدّلالاتِ في الفعلِ ﴿ٱنظُرُوٓاْ﴾:

دلالــةٌ عينيّةٌ تَــتــبــعُــهــا دلالــةٌ فِكريّةٌ مُستبصِرَةٌ

الفعل ﴿ٱنظُرُوٓاْ﴾ في الجملة له دلالتان تتبعُ إحداهما الأخرى؛ فالدّلالةُ الأولى نظرُ العينِ الباصرة؛ بدلالةِ تعديةِ الفعلِ بـ ﴿إِلَىٰ﴾[4]؛ فقد دعاهم إلى أنْ ينظُرُوا إلى الثّمرِ في أحوالِهِ المُتغيّرةِ، ثمّ إلى حالِهِ المُستقرَّةِ عندَ نضجِهِ وبلاغِهِ، ولكنَّ هذه الدّلالةَ العينيّةَ يجبُ أن تتبعَها دلالةٌ فكريّةٌ مُستبصرَةٌ تدُلُّ على قُدرةٍ باهرةٍ مُسنَدَةٍ إلى القادرِ المُدبِّرِ المُتّصفِ بالحِكمةِ والعلمِ، الّذي أنشأها منَ العدمِ إلى الوجودِ على وفقِ الحِكمةِ والمَصلحةِ[5].

### سِرُّ التّغايُرِ بينَ الفعلِ والاسمِ، في قولِهِ تعالى: ﴿إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓ﴾:

الفِعلُ مُتجدِّدٌ كالثّمرِ، والاسمُ ثابتٌ كالثّمرِ بعدَ نُضجِهِ

في قولِهِ تعالى: ﴿إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓ﴾ أوردَ تعبيرين في هذه الجملةِ: الأوّل بالفعليّةِ بقولِهِ: ﴿إِذَآ أَثۡمَرَ﴾، والثّاني في قولِهِ: ﴿وَيَنۡعِهِۦٓ﴾ فهو تعبيرٌ اسميٌّ، وينعُ الثّمرِ نضجُهُ وصلاحُهُ[6]؛ وهو محلُّ سؤالٍ عن سرِّ التّغايرِ بينَ التّعبيرين؟ ولِمَ لَمْ يسوِ بينَهما؟

(1) ابن الجزريّ، النّشر، ص: 226.
(2) ابن زنجلة، حجّة القراءات: 264، والواحديّ، البسيط: 8/323.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 11/579.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/600.
(5) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/306، وزاده، حاشية الشّيخ زاده: 4/107.
(6) السّمين، عمدة الحفّاظ: (ينع)، وزاده، حاشية الشّيخ زاده: 4/107.

والجوابُ عن ذلك أنّ الحقَّ ﷻ أمرَ عبادَه أن ينظُرُوا "إلى ثمرِهِ إذا أثمرَ، إذا أخرجَ ثمرَهُ كيف يُخرجُهُ ضَئيلاً ضعيفًا لا يَكادُ يُنتفَعُ بهِ"[1]، فالشّجرُ يُخرِجُ ثمرَهُ شيئًا فشيئًا على أحوالٍ مُختلفةٍ مُتباينةٍ مُتغيّرةٍ مُتجدِّدةٍ؛ لذلك عبَّرَ بإذا مع الفعلِ، وهي الدَّالّةُ على ظرفِ حدوثِ الفعلِ[2]، وهو يناسبُ الصّيغةَ الفعليّةَ أشدَّ التّناسبِ، حتّى إذا استوى على سُوقِهِ ونَضِجَ وصَلَحَ للأكلِ عندَها ثَبَتَ واستقرَّ، فانظُروا - يا هؤلاء - إليه، وهو على حالتِهِ الأخيرةِ على وجهِ التّمامِ والكمالِ اللّائقِ[3] نظرةَ مُستبصِرٍ مُعتبِرٍ، وهذا ممّا يُلائمُهُ التّعبيرُ بالاسمِ أشدَّ المُلاءمةِ.

### بلاغةُ عطْفِ الخاصِّ على العامِّ:

عـطْـفُ اليَـنْـعِ، إخـــراجٌ لـه مـنَ تسميّته ثمراً، تَشريفًا وفضْلًا

وقع (اليَنْعُ) مَعطوفاً على (الثّمر)، على سَنَنِ الاختصاصِ على نحو قولِهِ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: 98]؛ للدّلالةِ على أنّ اليَنْعَ أولى مِنَ الغضِّ. والتّحقيقُ فيه أنّ قولَهُ تعالى: ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾ عامٌّ في جميعِ أحوالِ الثّمرِ، فيدخل النّظرُ في حالِ بدئِهِ ونضجِهِ وغيرِهما، فعطفَ ﴿وَيَنْعِهِۦٓ﴾ على ﴿ثَمَرِهِۦٓ﴾؛ ليؤذِنَ بعمومِ أحوالِ الثّمرِ، وأنّ حالةَ النُّضجِ مُخرِجةٌ للثّمرِ اليانعِ عن أن يُسمَّى ثمراً، ونوعاً داخلاً في ذلك الجنسِ لشرفِهِ وفضلِهِ[4].

### فائدةُ تضمينِ ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ باللّام الدّالّةِ على البُعدِ:

البُـعـدُ قـريـنُ الـعُـلـوِّ، فـهي مُـؤذِنـةٌ بعُلوِّ المُشارِ إليه

قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، اسمُ الإشارةِ ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الدّالُّ على نِعمِهِ تعالى كلِّها من لدنْ إنزالِ الماءِ مِنَ السّماءِ حتّى إثمارِ الشّجرِ وينعِهِ، وهي نِعمٌ عظيمةٌ؛ فحَسُنَ الإشارةُ

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/380، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 8/475.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/403.
(3) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 13/117، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/257.
(4) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 6/186.

إليها مع لامِ البعدِ الّتي تُؤذِنُ بالرّتبةِ السّاميةِ العاليةِ للمُشارِ إليه ومكانتِهِ وبُعدِ مَنزلتِهِ[1]؛ فهي نِعَمٌ دالّةٌ على الصّانعِ العليمِ الحكيمِ.

### إيثارُ التّعبيرِ بصِيغةِ المضارعِ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾:

المـؤمـنُ يُـجـدِّدُ إيمانَه، بالنَّظرِ إلى الآيـــاتِ الكونيّةِ

ختمَ الحقُّ ﷻ هذه الآيةَ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بصيغةِ الفعلِ المضارعِ قصدًا إلى التّجدُّدِ الّذي يدُلُّ عليه؛ فإنّ على المُؤمنِ أن يُجدِّدَ إيمانَهُ؛ لقولِهِ ﷺ: «إنّ الإيمانَ لَيَخلَقُ في جوفِ أحدِكُم كمَا يَخلَقُ الثّوبُ الخَلَقُ؛ فسَلوا اللّهَ أنْ يُجدِّدَ الإيمانَ في قلوبِكُم»[2]، والنّظرُ في الآياتِ البيّناتِ من فَلْقِ الحبِّ والنّوَى، وجعلِ اللّيلِ سَكنًا، وإنزالِ الماءِ منَ السّماءِ، وإخراجِ الحَبِّ والنّخلِ والجنّاتِ كلِّها ممّا تُجدِّدُ إيمانَ المسلمِ؛ "استدلالًا بما يشاهدُونَهُ من عجائبِ مخلوقاتِهِ الّتي قصَّها عليهم"[3]؛ فجاءَ بالفعلِ المضارعِ قصدًا إلى تجدُّدِ الإيمانِ في كلِّ زمانٍ.

### توجيهُ المُتشابِهِ اللّفظِيِّ بينَ فواصلِ الآي:

الإيمانُ مُناسِبٌ لسِياقِ الآيـةِ، الـــدّالِّ عـلى البَعثِ الأُخرويِّ

في قولِهِ تعالى: ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ختمَ الآيةَ بقولِهِ: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾، فيما ختمَ ما سبقَها بـ ﴿يَعْلَمُونَ﴾ و﴿يَفْقَهُونَ﴾؛ وذلك أنّ ما خُتِمَت به هذه الآيةُ مُناسِبٌ لسياقِها الّذي اختصَّ بذكرِ النِّعمِ الّتي تقيمُ أوَدَ الإنسانِ من إنزالِ الماءِ وإنباتِ الزّروعِ والثّمارِ للنّاسِ والأنعامِ ونحوِها، وهذا ممّا يُذكِّرُ بالبعثِ الأخرويِّ[4]، والإيمانُ والتّصديقُ به ممّا يُوائمُ هذا السّياقَ. وأن يختمَ قوله تعالى: ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بالفعل ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ مُسوِّغٌ مُهِمٌّ؛ فإنّ إيرادَ هذه النّعمِ الكثيرةِ من إنزالِ الماءِ، وإخراجِ النّباتِ والثّمارِ لمّا يقتضي شكرًا وافرًا مِنَ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/257.
(2) رواه الطّبرانيّ، المعجم الكبير، الحديث رقم: (41668).
(3) القنّوجيّ، فتح البيان: 4/209.
(4) ابن الزّبير، ملاك التّأويل: 1/165.

المُنعَم عليه، فناسبَ أنْ تُختَمَ بالإيمانِ[1]، وهو داعٍ له؛ فلا يكونُ شاكرًا مَن لم يكنْ مُؤمِنًا به تعالى.

### سِرُّ العُدولِ منَ الفعل (يشكرون) إلى ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾:

الإيمانُ أصلٌ، والشُّكرُ فَرعٌ، فأُوثِرَ الأصلُ على الفرعِ لِتضمُّنِهِ إيّاه

لمّا كان سياقُ الآيةِ طافحًا بالنِّعمِ الّتي أنعمَها الحقُّ ﷻ على عبادِهِ من إنزالِ الماءِ منَ السّماءِ، وجريانِهِ في الأرضِ عُيونًا، وإنباتِ الزّروعِ والأشجارِ والثّمارِ؛ فيأكلُ النّاسُ والأنعامُ، ولمّا كان كذلك فإنّه يقتضي منَ الإنسانِ شُكرًا سَابغًا لخالقِهِ؛ فكان على مُقتَضى الظّاهرِ أن تكونَ الفاصلةُ (يشكرون)[2]، لكنّه عدلَ عن فعلِ الشّكرِ، وختمَ بفعلِ الإيمانِ، وسرُّ ذلك أنّ الإيمانَ أصلٌ والشّكرَ فرعٌ عنه؛ فأُوثِرَ الأصلُ على الفرعِ لتضمّنِهِ إيّاهُ.

### وجهُ التّناسُبِ بينَ الفعلَيْن ﴿ٱنظُرُوٓاْ﴾، و﴿كُلُواْ﴾:

فعلُ النّظرِ مُناسِبٌ لسِياقِ الاعتبارِ، وفعلُ الأكلِ مُناسِبٌ لسِياقِ المَطعومِ

في قولِهِ تعالى: ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ﴾ أوردَ الفعلَ ﴿ٱنظُرُوٓاْ﴾، فيما قالَ في آيةٍ بعدَها في السّورةِ نفسِها: ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ﴾ [الأنعام: 141]؛ لأنّ سياقَ الآيةِ الأولى سياقُ نظرٍ واعتبارٍ، وتبصُّرٍ وتنبيهٍ على ما نصبَ الحقُّ ﷻ منَ الآياتِ والدّلائلِ على وحدانيّتِهِ[3]، أمّا سياقُ الآيةِ الثّانيةِ فمَبنيٌّ على أحكامِ المَأكولاتِ، فقد تقدّمَها قولُهُ تعالى: ﴿أَنۡعَٰمٌ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ﴾ [الأنعام: 138]، وجاءَ بعدَها قولُهُ تعالى: ﴿كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: 142] فهي مُكتَنِفَةٌ بين هذين، وهما مَبنيان على سياقِ الأكلِ؛ فكانَ مُناسِبًا أن يعبّرَ بفعلِ الأكلِ، فجاءَ كلُّ فعلٍ على ما يناسبُهُ ويوائمُهُ.

(1) البيلي، من بلاغة القرآن، ص: 70.
(2) المطعنيّ، خصائص التّعبير القرآنيّ: 1/228.
(3) ابن الزّبير، ملاك التّأويل: 1/166.

## ❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

### (دانِية) و(قَريبة):

**التّداني في القِنوانِ على جهةِ الحقيقةِ في القُرْبِ**

في قولِهِ تعالى: ﴿قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ اسمُ فاعلٍ للفعلِ (دنا يدنو)، وهو القربُ، وقد بانَ من تفسيرِ (الدّانية) أنّها قريبةٌ، يسهلُ تناولُها، فقد عبّرَ عن هذا المعنى بالدّنوّ، إلّا أنّ ثمّةَ معنًى مُرادفًا لدانية، وهو (قريبةٌ)؛ فكِلا اللّفظين يُؤدّي المعنى المرادَ، إلاّ أنّ دانيةً أدقُّ في التّعبيرِ؛ فثمّة فرقٌ دقيقٌ بينَ الدّنوِّ والقربِ، وهو أنّ الأوّلَ مُتعلّقٌ بالمسافةِ بينَ شيئين، كقولِهم: (دارُه دانيةٌ)، فهو قربٌ على وجهِ الحقيقةِ، وهو المُرادُ في الآية؛ فإنّ التّداني في القِنوانِ على جهةِ الحقيقةِ في القُربِ، أمّا القربُ فهو معنًى عامٌّ قد يكونُ مُستعمَلاً على غيرِ الحقيقةِ، كقولِهم: (القلوبُ تتقاربُ)، ولا يُقالُ: (القلوبُ تتدانى)؛ لأنّه لا يحصلُ حقيقةً[1].

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 236.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي عشر، سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 11 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-63-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 11 : سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-798-63-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9795022 بتاريخ 2023/12/19م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»